

بسم الله الرحمن الرحيم

رد شبهات المنكرين على الطريق

الحمد لله ، والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد الفاتح الخاتم الناصر الهادي وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد ،،،

لقد قيض الله لهذه الطريقة من يدافع عنها وعن شيخها رضى الله عنه ضد الحاقدين الذين تمتلئ بهم الدنيا على مر العصور ، والذين أرادوا أن يشوهوا صورتها ، إلا أن الله يأبى إلا أن يظهر نوره ، ويفضح الأعداء على مر العصور والدهور ، والحمد لله رب العالمين .

نسأل الله أن يملأ الدنيا من العلماء ، وألا يخلى منهم مكاناً أبداً إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير، ولقد تناول بعض المنكرين شيئاً مما أفصح عنه الشيخ سيدى أحمد التجانى فى كتب الطريق وألصقوا بها أفهامهم السقيمة التى يبرأ منها الشيخ سيدى أحمد التجانى وأتباعه أجمعون ، ومنها :

١ - المحبة من الله للكافرين .

٢ - الحلول والاتحاد .

٣ - ادعاء بعض المنكرين أن الشيخ يفضل نفسه على الصحابة رضى الله عنهم .

٤ - مقام الشيخ سيدى أحمد التجانى وعلو مرتبته على الأولياء .

٥ - المنبر والنداء .

وسوف نوضح بمشيئة الله المقصد الذى لم يتوصل إليه المنكرون .

١ - شبهة المحبة من الله للكافرين :

لم يقل الشيخ رضى الله عنه إن الله يحب الكافرين محبة تجعل الجنة حقاً لهم بل قال ما معناه : هم فى الأصل عبادُ الله والله يحب عباده جميعاً محبة عامة سوغت له سبحانه أن يخلقهم فلا يقع فى ملك الله إلا ما يريد الله ولا يريد إلا ما يحب ، فهو لا يحب الكفر وإن كان يريد الخلق على ما هم عليه ، ولو أرادهم غير ذلك لكانوا كما شاء سبحانه ، فهو سبحانه أحبهم ، لأنه خلقهم وهى محبة عامة ،

وكره كفرهم فعذبهم عليه وهو سبحانه قال : (وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ)^(١) هذه رحمة عامة للكافر وللدابة ، فلو لم يرحمه لما خلقه على صورة حسنة ، فمادام قد خلقه كذلك فهو سبحانه يحبه وإن كره منه الكفر .

ولذا قال شيخنا فى الجواهر عن المحبة العامة : " وهناك المحبة العامة منه سبحانه وتعالى وفى هذه المحبة جميع العوالم حتى الكفار فإنهم محبوبون عنده فى حضرة قوله تعالى : ((فأحييت أن أعرف فخلقت خلقاً فتعرفت إليهم فبى عرفونى)) لا تظن أن مخلوقاً أهمل من هذه المعرفة "^(٢) ثم يقول رضى الله عنه : " فما خرجت الكفار عن هذه المحبة العامة ، إذ الخاصة لا حظ لهم فيها ، والتى مقتضاها الترفيع والإجلال "^(٣) .

٢ - شبهة الحلول والاتحاد :

معنى الحلول والاتحاد فى أيسر صوره : هو حلول ذات الله سبحانه فى ذات شخص أو شيء ، واتحادهما ، كما يجل الماء فى النبتة ويتحد معها .

ذلك هو معنى هذه الدعوى فى ذهن من يلصقها بالتصوف ، ومن ادعاها فهو كافر بالله ، فله سبحانه ذاته الخاصة التى لا تحل فى شيء ولا يجل فيها شيء ، لها كيفية يعلمها الله سبحانه وتعالى وحده ، ولا نعلم نحن طبيعتها ، وبهذا نقول فى الأشياء التى تنسب إلى الحق سبحانه كما ورد فى القرآن الكريم من اليد والعين والقدم والنسب التى تنسب إليه سبحانه كالتقرب والمعية والعلو والاستواء ، وكل ذلك فى دائرة قوله سبحانه : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)^(٤) ، فالله وحده الذى يعرف طبيعة ذاته المقدسة ، سبحانه وتعالى عن المثل والشبيه علواً كبيراً .

إن شيخنا رضى الله عنه أراد أن يشرح موقف من قال من العبارات ما فيه شيء من الشطح ، ويفهم البعض هذه العبارات على ظاهرها ويكفرون سادة القوم وللعبارات أفهام صحيحة

١ - سورة الأعراف ، الآية ١٥٦ .

٢ - كتاب جواهر المعانى ، الجزء الأول ، ص ١٨٣ .

٣ - كتاب جواهر المعانى ، الجزء الأول ، ص ١٨٣ .

٤ - سورة الشورى ، الآية ١١ .

ولأصحابها أعذار مشروعة ، إن العبارات التي تفهم على إنها تدعو إلى الحلول والاتحاد ليس على شيخنا شيء حينما يشرحها على وجهها الصحيح ويبين عذر أصحابها .

ولنا الأسوة الحسنة فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماذا فعل مع الذى ضاعت راحلته فى الصحراء فنام منتظراً الموت ثم استيقظ فإذا براحلته إلى جواره فدهش لدرجة أن قال : اللهم أنت عبدى وأنا ربك ؟ ماذا نحكم على هذا : أنقول إنه كافر يقتل ؟ أم غائب يسئل عندما يعود إلى صوابه ؟ فإن رجع فهو من المعذورين المخطئين المرفوع عنهم القلم وإلا حكم عليه بالردة .

إن شيخنا رضى الله عنه يعرض حالة صاحب هذا الموقف ، فلتتمهل فى الحكم عليه ، أياكون بذلك صاحب عقيدة اتحاد وحلول ؟! أم هو رجل منصف وشيخ فاضل مر بتجارب فعلنا خلاصتها حتى لا نزل كما زل الكثيرون ؟! .

وانظر ماذا قال ابن تيمية فى مقام الاصطلام والسكر^(٥) : " وعن الشبلى وأمثالهما من أصحاب السكر والاصطلام أنهم معذورون ، وعندما كانوا يفيقون ينكرون ما حدث منهم إذا كان مخالفاً للشريعة " .

ولقد كان شيخنا رضى الله عنه يشترط الرجوع عن هذه العبارات ، فيقول رضى الله عنه : " قال أبو يزيد قولته التى قال فى وسط أصحابه وهم دائرون به : سبحانى ما أعظم شأنى فهابوا أن يكلموه وعرفوا أنه غائب فلما صحا من سكرته وتحققوا منه الصحو أخبروه بما سمعوه ، فقال : ما علمت بشيء فهلا قتلتمونى فى تلك الحالة ، فإنكم لو قتلتمونى لكنتم غزاة فى سبيل الله وكنتم شهيداً ، فقالوا : لم نقدر على ذلك " (٦) .

وقال رضى الله عنه : " وفى علم الكناية الإلهية وقعت على الحق عبارات استحال ظاهرها من النزول والدنو والتدلى والمعية والعندية والمجىء والضحك والعجب وأمثالها كثيرة فى الشرع ، وظواهرها مستحيلة على الحق سبحانه وتعالى " ، ثم تابع رضى الله عنه بعد ذلك قائلاً : " ومن جملتها قوله : ((أنا عند ظن عبدى بى)) ، فالعندية اقتضى ظاهرها الحلول معه فى المكان ، وذلك

٥ - كتاب التصوف فى تراث ابن تيمية ، للدكتور الطبلاوى محمود سعد ، ص ٧٣ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٦ - كتاب جواهر المعانى ، الجزء الثانى ، ص ٢٠ .

مستحيل على الله تعالى ، إذ يستحيل عليه الحلول في الأمكنة والخروج عنها ، ومعنى العنودية إسعافه للعبد بمطلبه فيما ظن بالله من ظن^(٧) .

٣ - ادعاء بعض المنكرين أن الشيخ يفضل نفسه على الصحابة رضى الله عنهم :

يقول الشيخ رضى الله عنه : " .فضل الصحابة لا مطمع فيه لمن بعدهم " ، ثم ضرب رضى الله عنه مثلاً لعمل الصحابة مع غيرهم فقال : " عملنا مع عملهم كمشى النملة مع سرعة طيران القطة"^(٨) ، وصدق رضى الله عنه فيما مثل به ؛ لأن الصحابة رضى الله عنهم حازوا قصب السبق بصحبة سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ، ولقد قال صلى الله عليه وسلم فى حقهم : ((لَأَسْبُوا أَصْحَابِي فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)) .
ولن نجد أحداً من التجانيين يقول بغير كلام شيخه ، وإذا كان ذلك فى حق الصحابة فما بالناس بمقام نبينا عند شيخنا ! .

٤ - شبهة مقام الشيخ سيدى أحمد التجانى وعلو مرتبته على الأولياء :

وأترك الكلام هنا لشيخنا الحافظ التجانى رضى الله عنه وهو صاحب القدم المتمكن فى الشريعة والطريقة ، حيث يقول حول هذه المرتبة - مرتبة الختمية - : " وهذه المرتبة التى ذكرها لاشك أنها ثابتة لشخص ما ، فإن الناس متفاوتون فى مراتب المعرفة ، ورفع الله بعضهم فوق بعض درجات ، فلو قارنا بين نور أهل بلد مثلاً ، أو قطر أو عصر ، فلا بد من وجود مرتبة هى أعلى المراتب ، ولو قارنا بين أصحاب هذه المرتبة فى كل عصر فلا بد من وجود من هو أعلى من غيره ، فمن اختصه الله أولاً بهذه المرتبة يسميه العارفون : القطب المكتوم ، والختم الأكبر ، وقد ادعاها سيدى محيى الدين ورجع عنها ، كما ادعاها غيره ، وادعت لغيرهم .

وعلامات هذه المرتبة التى قد ذكرها الأولياء قد اجتمعت فيه رضى الله عنه ..وقد أخبر رضى الله عنه - وهو صادق - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره خبراً صريحاً فى اليقظة - ولا عبرة

٧ - كتاب جواهر المعانى ، الجزء الثانى ، ص ٢ ، بتصريف .

٨ - كتاب جواهر المعانى ، الجزء الأول ، ص ١٤٢ .

بكلام من أنكرها لأنه محجوج ودلائله منقوضة - أنه صاحب هذا المقام ، ولا داعى لتكذيب الولى فى أمر ممكن ، وقد صدقناه كجميع الأولياء .

وعلى أى حال لا خلاف بين أهل الله ، أن هذه مرتبة اختص الله بها بعض أوليائه ، فإن لم يكن الشيخ فغيره ، ولا حرج على من صدق دعوى صادق صالح فى أمر يمكن أن يتفضل الله به سبحانه عليه ، ومن لم ير ذلك ثابتاً له فليحمل كلامه على وجه صالح ، ولو على أنه مما يقع من الشطح للشيخ الكمل ، ولا ينافى كمالهم لأنه نتيجة غرق فى النور .. ولا بد من مرور الولى بمرتبة السكر والغيبة والغرق ، فإذا كان رضى الله عنه صاحب هذا المقام فكلامه على ظاهره ، وإلا فهو فان فى صاحب المرتبة يتكلم بلسانه ، ولا حرج علينا شرعاً إذا صدقنا أنه صاحبها ، فما جُرب عليه رضى الله عنه إلا الصدق والعلم والعمل به وكمال المتابعة ، وقد شهد له بعلو القدم فى المعرفة أكابر العارفين ، ولم يعاده ولى فيما نعلم ، وإنما أنكر عليه شردمة من أطفال القلوب صغار الأحلام لا عبرة بهم ولا يؤبه بكلامهم ؛ لأن الدليل يخذلهم فى كل موطن من مواطن التحقيق وهم محجوجون بالدلائل العلمية الصحيحة^(٩) .

٥ - شبهة المنبر والنداء :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن لله عبداً يجلسهم يوم القيامة على منابر من نور ، يغشى وجوههم النور ، ويلقى عنهم السيئات حتى يفرغ الله من حساب الخلائق)) رواه الطبرانى بإسناد جيد ، وورد فى المتحابين فى الله عنه صلى الله عليه وسلم : ((قال الله عز وجل : المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور ، يغطهم النبيون والشهداء)) رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح ، وصح مثل ذلك عن كثير من الصحابة عند أحمد وابن حبان وأبى يعلى والحاكم والطبرانى ، وهو رضى الله عنه منهم إن شاء الله تعالى .

وأما المنادى الذى ينادى : يا أهل الموقف هذا إمامكم ، فالمراد من انتفعوا به فى عالم الحس وعالم المعنى ، وقد قال الله تعالى : (يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ)^(١٠) ، والعموم هنا غير مراد له قطعاً ، إذ

٩ - كتاب الإفادة الأحمديّة ، ص ١٣٠ ، الهامش .

١٠ - سورة الإسراء ، الآية ٧١ .

يستحيل أن يقصد فى ذلك النبىين وهو يستمد منهم عليهم الصلاة والسلام ، وقد ذكر أن أحداً فى الوجود لا يطيق ما يتجلى عليهم من الأنوار ، وقد ذكر فى بعض أدعيته أنه يستمد من روحانية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلامه نفسه رضى الله عنه يرد على من نسب إليه ذلك ، فلم يقله ولا يصح عنه مجال رضى الله عنه أبداً .

وإن ألقينا الكلام على عمومه يكون إذ ذاك فانياً فى الحضرة المحمدية يتكلم بلسانها ، ولاشك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الخلق قاطبة وإمامهم من غير نزاع^(١١) .

وأما قول سيدى أحمد التجانى رضى الله عنه : " روحه صلى الله عليه وسلم وروحي هكذا ، مشيراً بإصبعيه السبابة والوسطى ، روحه صلى الله عليه وسلم تمد الأنبياء والرسل ، وروحي تمد الأقطاب والأولياء من الأزل إلى الأبد " ، فإن شيخنا الحافظ رضى الله عنه لم يجد عبارة " من الأزل إلى الأبد " فى الإفادة ، فعلق فى الإفادة ناقلاً عن سيدى إبراهيم الرياحى قوله : " وليس جميع ما فيه - جواهر المعانى - عين اللفظ الصادر عن الشيخ ، ولكن غالب ما فيه مروى بالمعنى إذ أن الشيخ لم يكتب ذلك بيده ، ولا أن الناقل عنه محتاط كل الاحتياط فى ضبط عين عبارته " ، مما يشعر القارئ معه بأن الشيخ غير مطمئن إلى نسبة هذه الجملة .

ولعلنا بعد هذه الدراسة نطمئن ويطمئن معنا كل منصف إلى التزام شيخنا رضى الله عنه بالشرع الحنيف ظاهراً وباطناً ، وعدم خروجه عن قاعدته " ما جاءكم عنى فزنوه بميزان الشرع فما وافق فاعملوا به وما خالف فاتركوه " ، ورضى الله عن الشيخ سيدى أحمد التجانى وعنا به ، آمين .

دكتور / محمد أحمد التجانى على حسن

القاهرة فى يوم الأحد ١٥ شوال ١٤٣٠ هـ

الموافق ٤ أكتوبر ٢٠٠٩ م

١١ - كتاب الإفادة الأحمديّة ، ص ١٤٩ ، ١٥٠ ، الهامش .